

نتائج علم النفس و الصراع الفكري عند بن نبي.

أ.د. الأخضر شريط
جامعة الجزائر(2)

تاريخ القبول: 2018-10-27

تاريخ الإرسال: 2018-09-24

تاريخ النشر: 2018-12-12

ملخص:

يهدف هذا البحث إلى إبراز توظيف نتائج علم النفس من الخبراء في التخصص (الاستعمار) لإدارة الصراع الفكري. وهو ما يدخل في تدوير الحرب النفسية لفائدة خبراء في هذا الميدان. والأمثلة التي يوردها مالك بن نبي كثيرة، وسنقتصر على نموذج أو اثنين لنحلل مدى التجربة التي عايشها الرجل كخبرة شخصية. وكيف راح يعممها على المعارك الفكرية، التي تراءت له آنذاك في المجالات السياسية من طرف الاستعمار. ومنه فإن الإشكالية المطروحة هي إلى أي مدى أثرت نتائج استعمال علم النفس¹ في إدارة الصراع لفائدة الاستعمار بتوظيفها كحرب فكرية ؟ للإجابة على هذا سوف نتبع الخطوات التالية:

- مفهوم الصراع الفكري بين الماضي والحاضر.
 - توظيف نتائج علم النفس في الصراع عند بن نبي.
 - غايات الصراع ؟ أمثلة من واقع اليوم.
- ولتحليل هذه الخطوات، اعتمدنا على مصادر ومراجع مساعدة لنا في البحث، مقتدين أثر الأجرومية المنطقية، دون أن نكون عبيدا لها.
- الكلمات المفتاحية: الصراع ; الفكر ; بن نبي ; مرآة الكف ; الاستعمار

Abstract:

This research aims to highlight the employment of the results of psychology experts in the specialization (colonialism) to manage the intellectual conflict, which is in the cycle of psychological warfare for the benefit of experts in this field The examples provided by Malek Ben nabi many, and will be limited to a model or two to analyze the extent of experience The problematic is how far the results of the use of psychology in the management of the ? conflict for the benefit of colonialism have been used to use it as a war of thought.

Key words : colonialism, Ben nabi, conflict, thought

عرض:

أولاً: مفهوم الصراع الفكري بين الماضي والحاضر.

يفتح مالك بن نبي مقدماته لا سيما في كتابه شروط النهضة بقوله: "ألفت نظر القارئ إلى أن الصراع ما اشتد مثلما اشتد في الثلث الأخير من القرن العشرين"² وهو يلفت انتباه القارئ إلى إمكانية توظيف أفكاره في غير ما أراد لها، ليستفيد منها خصومه. وعلى رأسهم الاستعمار، وكذا القابلية للاستعمار. هذا يعني أن الصراع الفكري قديم وحديث في الآن

نفسه. ونحن إذ نعرض على القديم كي نربط ماضيه بحاضره. ولكي نتعرف على الأساليب التقنية التي كان ولازال يستعملها المعادون لفكر الرجل وفكر الأمة التي يدافع عنها. ومن هنا وجب النظر في الصراع الفكري عند الأقدمون.

إذا استعانا بما كان يدور رحاه في العصور الأولى من العهد الإسلامي. سنجد أن المناوئين للرسول وللصحابه استعملوا شيئاً من هذا القبيل أي من الصراع الفكري. ولعل قول ابن سلول عندما قدم الرسول. - صلى الله عليه وسلم- المدينة وكان له أن يبني المسجد والبيت الذي يأويه. قال له مقامك عندي يا رسول الله، من أجل غاية قصوى. هي لفت العامة أن يكون الرسول بينهم. وغاية دنيا. من أجل أن يخلق الفتنة في الصفوف. ولا حظنا كيف أن الرسول المأمور من ربه لطف الأجواء التي شحنها ابن سلول. وحسم الأمر بقوله "دعوها فإنها مأمورة - يعني ناقته-³" وبذلك فك عنهم بدايات الفتنة بأمر من ربه أو من تدبير الرسول صلى الله عليه وسلم. وفي الحالتين نجد أن الأمر انتهى ولم يستمر بقولة الرسول صلى الله عليه وسلم. هذا مثال وأما الثاني، فيمكننا أن نلتصقه في حادثة الغرانيق التي أريد لها من السبائين والمنافقين أن يلحق تشويه للأفكار القرآنية. لكنهم لم يتمكنوا لما حاولوا النيل من الأفكار القرآنية بسبب قوة ومتانة هذه الأفكار. وثانياً بسبب قوة القرآن التي كان يدافع بها عن نفسه. يقول بن نبي في هذا المعنى: "فكذلك الأفكار القرآنية قد استخدمت خلال القرون قوتها ضد كل محاولة تحريف، أو تزيف وفرضت رقابتها عليها مثل قصة الغرانيق تطرده من دائرتها، مقصية بذلك شحنة الإيحاءات السلبية التي يحملها الدخيل إليها...حتى لا يكون لها أي أثر على الضمير الإسلامي في النهاية."⁴ وهو بذلك يفهمنا أن الصراع الفكري أول ما بدأ في تاريخ الإسلام بدأ في محاولة من المناوئين للقرآن المس به. كما أنه راحوا يختلفون الادعاءات تلو الادعاءات حتى يتمكنوا من النيل منه. لكن هيهات!! ثم أنه ينتقل لما للأفكار من دور حول تصفية نفسها بنفسها. فيرى أن كل الأفكار لها هذه الخاصية خاصة تصفية نفسها بنفسها. يقول: "لأن الأفكار القرآنية بصفة خاصة والأفكار بصفة عامة، تقوم وفق الشروط الاجتماعية. وفي نطاق الشروط الاجتماعية بدور المصفي بالنسبة للأفكار الدخيلة المشتبه فيها والتي تحاول دوائر خفية أن تزج فيه"⁵.

ونفهم من هذا التحليل أن بن نبي يعالج دائرة الأفكار، على أنها الدائرة الأولى التي من الممكن أن تصلها حلبة الصراع الفكري. ومن ذلك راح يحلل حسب ما بدا له من الآلية. التي تتسم بها الأفكار. وفي هذا الإطار يتساءل عن لماذا لم تصب الأفكار القرآنية بهذا المندس من الأفكار الدخيلة. وبالتالي يصاب ضمير المسلم بالحيرة والارتياح، ويجب بأن هناك سببان: السبب الأول هو أن الحصانة الأخلاقية التي تتميز بها هذه الأفكار القرآنية لم تتح للأفكار الدخيلة هذه أن تنال منها.

والسبب الثاني هو أنها لم يكن بها أي استعداد للتعفن حتى يجد الدخيل عليها (جرثومة) مأوى يسكن إليه. " كما يجد الذباب الناقل للجراثيم مأوى في الأشياء المتعفنة"⁶.

من هنا يحلل بن نبي أن الأفكار تخضع لميزان عاملين اثنين إما أنها صحيحة أو خاطئة أي أنها ذات قيمة رياضية، أو أنها خيرة أو شريرة، بمعنى أنها تحمل قيمة أخلاقية. ومن هنا فإن الأفكار القرآنية كانت تحمل المعاملان معا. بينما البعض من أفراد العالم الإسلامي من يحمل إما ضعف في عالم الأفكار، أو ضعف أخلاقي. الشيء الذي يذهل الشقيقة الشمطاء القابلية

للاستعمار، أن ترتقي دائما وتطفو على سطح الأحداث السياسية. مما يسهل من مهمة المعامل المختصة في رصد الصراع الفكري، أن تنتشط لتؤلب الصراع في صالحها. وبن نبي يسوق مثالا على تجربة تعرض لها. حيث أنه لما أصدر كتابه "شروط النهضة" علقت عليه جريدة باريسية كبرى بقولها إنه صدر لكاتب فرنسي!! هذا الكتاب. مما يتبين منه تدخل الأيدي الخفية، التي كانت وراء هذا التعليق من الجريدة الكبرى. للإيحاء بصد الشعب عن قضية هذا الكاتب الفرنسي (مما يوحي بأنه عون للاستعمار).

والمثال الثاني: يسوقه مما علق به أحد أعضاء⁷ "جمعية العلماء المسلمين الجزائريين" عندما ندد بكتاب "وجهة العالم الإسلامي".⁸ الذي صدر للمؤلف سنة 1954. معبرا عن فخر فكري مهيب. وهو صورة من القابلية للاستعمار. ممثلة برموز لها صداها في واقع الشعب. متيحا الفرصة للاستعمار كي يرصد أيضا أعوانه للتغيب من أفكار الكتاب. وهناك أمثلة أخرى نسوقها عن الصراع الفكري من التاريخ. فمن لا يعرف قصة كيف دار الصراع بين فئتين مؤمنتين وبأي آلية -مع الأسف- لم يتمكن من رصد مديري الصراع على النحو الذي يرضي الطرفين- طبعا في واقعة صفين 37 هـ.

فعندما فشلوا في هذه الدائرة أي دائرة الأفكار تحولوا إلى الدائرة الاجتماعية. فما كان من موقعة صفين إلا استمرارية منهم في النيل من الإسلام والمسلمين فراحوا يلاحقون الوحدة السياسية بما فرقوا به الصف الإسلامي: بين أنصار معاوية وأنصار علي كرم الله وجهه. فحادثة معركة صفين والأريحية التي قدمها معاوية حينما أمر جنده بان يرفعوا المصاحف على الرماح وأن يقولوا هذا حكم بيننا. وتم لهم ذلك. لكن الإمام رد بقوله: كلمة حق أريد بها باطل: ما يهمننا أن إدارة الصراع بتلك الطريقة كان بنية النيل من الصفوف. وفعلنا تفرقت الصفوف مذ ذاك بين من يتبع علي، ومن يتبع معاوية. وكان لأول مرة في التاريخ الإسلامي، يمرر الصراع بتلك الكيفية حيث لا نزول للوحي. ولا أمر من رسول الله. بل اجتهاد فقط من بعض الصحابة⁹.

وهناك حوادث كثيرة في إدارة الصراع الفكري في القديم لكن ما يهمننا هو انه قديما كان الصراع الفكري يدار بطرق معرفية من المعارف العادية من الثقافة. مسيطرة للعصر والثقافة التي يعايشها، لكن اليوم فإن العصر هو عصر العلم والتكنولوجيا، ولذلك كان لا بد من مديري الصراع الفكري أن يسايروا الحكاية: أي حكاية استخدام العلم في الصراع الفكري. ونحن إذ نركز على استعمالات علم النفس في هذا الإطار لسببين: أولاها أن بن نبي انتبه إليه. وثانيها أنه العلم الذي يتناسب ومعارك الصراع الفكري.

ثانيا: توظيف نتائج علم النفس في الصراع عند بن نبي ونماذج حية من المعالجة.

قلنا أن استخدام وتوظيف النتائج العلمية التي توصل إليها علم النفس في الوقت المعاصر لهي من صميم العلم الذي استخدمه العلماء المختصون والخبراء في المخابر التي تدير المعركة في الصراع الفكري، بين الاستعمار والقابلية للاستعمار من جهة، والشعب أو الأمة صاحبة أرض المعركة، وصاحبة الحق المدار عليه الصراع.

يلجأ مالك بن نبي إلى صنّاع السياسة الاستعمارية، وكيف أنهم يستعينون بهؤلاء الخبراء في إدارة الصراع، فيحلل من خلالهم مجموعة العينات. أولى هذه العينات مدى استعمال الاستعمار والقابلية للاستعمار. واستفادتهم من مدرسة المنعكس الشرطي في السلوك التي أسسها بافلوف العالم النفساني الروسي.

بداية يقدم بن نبي: نموذجاً لتوضيح المسألة. وهذا النموذج هو صدور كتابه، شروط النهضة الذي عانى من الاستعمار. لينشره بالعربية في الجزائر فسافر به وبكتبه الأخرى قصد ترجمتها، ونشرها في القاهرة. فإذا به يجد نفسه أمام حالة الخبراء المختصين الذي يطبقون نتائج علم النفس البافلوفي عليه. ويشرح بن نبي الجانب النظري في هذا فيرى أن مرآة الكف مطبقة على الفكرة، ومعناه أن المرآة هذه لا وجود لها في عالم الواقع بمقدار الانعكاس، الذي يترتب عليها حينما تسلط على الفكرة الأضواء. ولتكن الفكرة هنا هي عنوان الكتاب: فإن الاستعمار يلجأ بطرقه العلمية إلى تشويه الفكرة المتجسدة في الشخص بطريقتين بطريق ما يسلط عليها من أضواء أو بطريق ما يغطيها حقها. ففي الحالة الأولى فإن الأضواء هي المرآة العاكسة والتي من خلالها فقط تُرى الفكرة أي فكرة كتاب شروط النهضة، لأنها ليست شيئاً مادياً.

وبن نبي يذكر مثال على أنه أثناء ترجمة الكتاب في القاهرة، ظهرت الطبعة الضخمة لكتاب العروة الوثقى للسيد جمال الدين الأفغاني، ولا يخفى على أحد المكانة التي يوليها الشعب لجانبى قداسة الفكرة عنده، وجانب المعارك التي خاضها مع تلميذه محمد عبده من أجل النهضة في العالم الإسلامي. ومن هنا وجب التركيز على العروة الوثقى وطبعها طباعة جيدة حتى أن المقدم للطبعة يذكر بن نبي بهذه الصيغة مؤلف لعنوان مستقبل الإسلام. وهو عنوان مثير كما أنه يقدم بن نبي مستغلاً اللوحة الدعائية هذه لكن على النحو التالي: "ولكن يجب أن أوضح للقارئ أن اسمي ذكر على أنني مؤلف فرنسي >عاش في الشمال الإفريقي وامتزج به وأحبه واعتنق الإسلام ولاقى الأهوال في سبيل الدفاع لآعنه.<

ويقف بن نبي عند هذه الحالة فيؤكد أن هذا العمل يبدو بريئ ولا شك أن الذي وضعه هو الآخر بريء وصاحب نية طيبة. لكن وكما يقول "فإن تجربة ربع قرن علمتني كيف أتعرف على حقيقة شيء من هذا القبيل: فإنني أعرف كيف تصنع ولماذا تصنع هذه البضاعة فإن من وضع عليها خاتمه ان هذه الأمور قد خططت لها أيدي خفية وصنعت في معامل الاستعمار وهو فعل ذلك دون أن يعرف على أي بضاعة وضع خاتمه"¹⁰ ومن هنا فهو إما يلجأ من خلال هذه المرآة أن يصور عالم أفكار الرجل، بأنه عالم غريب!! بمعنى أن الفكرة المعكوسة على نفسية الجانب الاجتماعي تتقدمها الصورة الباهتة، إن لم نقل العدمية. أو أن الصورة العاكسة من مرآة الكف، تقدم صورة مبهرة جدا حتى تتميع قضية الفكرة التي طالما كافح من أجلها الرجل بتقديمها مثلاً أنها "بالونية". وبذلك سوف تتفرقع عن ما قريب بتسليط الإشعاع النفسي على المرآة العاكسة نفسها مما يجعل المجتمع - الشعب- ينفر منها. وبذلك يتحقق حلم الاستعمار بتطبيقه لمرآة علم النفس البافلوفي:

ونلاحظ نحن كدارسين. أنه في الحالة الأولى كانت المرآة العاكسة، تقدم صورة باهتة من القابلية للاستعمار. بمعنى من تسليط الأضواء على المنعكس الشرطي. الذي أبدى استعداد لنقلها عبر "القناة الهاضمة" أي ان يتقبلها كما أراد الاستعمار، دون أن يراعي لما في نفسه من عوامل الانحطاط الجهل. وبذلك يكون الاستعمار قد مرر فكرته عن الصراع الفكري، دون مقاومة تذكر من الشعب في البلاد المستعمرة.

فلقد وظف هنا القابلية للاستعمار دون أن يجهد هو نفسه عناء. تكاليف العملية العسكرية لسبب أن غريمته الشمطاء قدمت له الرهان الذي كان يراهن عليه. وهو قتل الفكرة أي فكرة

"شروط النهضة" بوسائل من الشعب نفسه، مستخدماً القابلية للاستعمار¹¹ وسيلة للإقناع للأسف الإقناع المعوي.

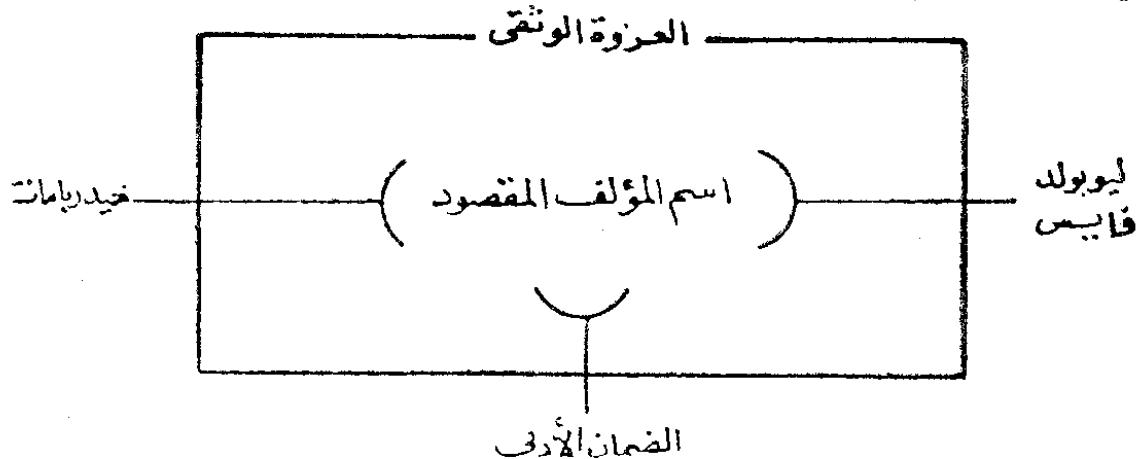
وأما الحالة الثانية والتي يحاول الاستعمار أن يستفيد من نتائج مرآة الكف حينما يكون وضع المرأة هو نفسه عاكسا بشكل ملفق للفكرة، أو بشكل مغال، فينفخ الفكرة أي فكرة الرجل. أي فكرة شروط النهضة. وفي هذه الحالة سوف يصور الفكرة على أنها هدامة لقيم الشعب، أو على أنها غير فعالة، أو على أنها طوباوية. مما يجعل الشعب نفسه ينفر منها، بل لا يعلم عنها شيئاً، لأنها فكرة غامضة، بسبب جهله المركب من جهة، وبسبب الشروط التي خضعت لها عملية تكيفه مع الفكرة من جهة ثانية.

والمثال التوضيحي على ذلك: كأن يلجأ الاستعمار إلى تهيئة الأجواء الملائمة بوسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمكتوبة التي تكون بمثابة أبواب للاستعمار فتفعل فعلتها في ضمير الشعب وفي دائرة الأفكار عنده.

ويتوقف بن نبي مع شيء من الغرابة على مقدم كتاب العروة الوثقى وكيف استغل اسمين اثنين ليجعل اسمه يتوسط الاسمين: وأما الاسم الأول، فهو لصاحب كتاب "الإسلام على مفترق الطرق" ليوبولد فايس¹² وأما الثاني فهو حيدر بامات¹³ مؤلف كتاب مجالي الإسلام. وهو ينتبه - أي بن نبي- إلى أمرين اثنين هنا، الأمر الأول: هو أن الذي وضع اسمه بين الاسمين استغل طبوأة "فنان" (تقني) technicien حتى أنه استغل الاسمين ليبت من خلالهما هالة من الغموض عن الرجل وفكرته (أي بن نبي وفكرة شروط النهضة).

ويعلق على ذلك بقوله: "فهو أي الاستعمار في المجال السياسي، بخاصة يستخدم الفضيلة كضمان ليبعد به الشكوك التي ربما تثيرها بعض العلاقات المريبة بين مركب الأفراد الذي يمثل سياسة عاطفية في البلاد المستعمرة، والجهاز الذي يشرف بالطرق العلمية على الصراع الفكري في تلك البلاد ومن أثر هذا المبدأ في التطبيق أنه يوضع بين الرؤوس التي تتركب على الآلة الهاضمة رؤوساً لا يتركب عليها الشك.

وإذا فلا غرابة أن يستغل الاستعمار رجلاً طيباً دون علمه ليقحم اسمي في مرآة مكونة من العناصر التي ذكرناها، أي من اسم العروة الوثقى، الذي يمثل بسبب الهالة التي يحيط بها تاريخ الإسلام الحديث المرأة العاكسة في أجلى صورها ثم اسمي الكاتبين الكبيرين باعتبارهما مصباحين نفسيين ليسلطا على موضع الانعكاس الأضواء المناسبة، ثم اسم صاحب المقدمة الطيب القلب كضمان أدبي يبعد الشكوك عن المرأة، وعلى هذا فالتركيب العملي يتم على هذه الصورة¹⁴.



ثم يتساءل بن نبي عن ما هي الآلية النفسية التي طبقت في التركيب؟ ليصل إلى تحليل عن مدى تأثير كتاب ليوبولد فايس في القارئ والذي مما لا شك فيه أن القارئ يستفيد كثيرا مما كتب لكن الفائدة تكون لعقله دون ضميره لأن ليوبولد فايس مهما كتب يبقى مرهونا في كتاباته إلى تاريخه مما يعنى أن الجانب الشخصي فيه له أثره على الجانب الفكري للقارئ .

ولعله من نافلة القول أن نجد ان بن نبي يقدم الصورة عن الآلية النفسية باعتبار أن ليوبولد فايس يمثل شخصية محترمة في العالم الإسلامي مما أحقق عليه من كتابات عن الإسلام كما أن حيدرآباد له التأثير نفسه تقريبا . لكن وكما يقول بن نبي: "لو أطلق رجل اسم حيدرآباد على نفسه في ظروف معينة ثم وفي ظروف أخرى أطلق على نفسه جورج ريفوارا في ظروف أخرى فإننا ندرك ما يكون لاسم كهذا من تأثير حرمانى على أفكار صاحبه. كما ندرك في الوقت نفسه أن تلك الأفكار قد تكون مجموعة هامة من التفسيرات القيمة دون ان يكون لها فعالية من حيث التغيرات الاجتماعية المنشودة"¹⁵

ثالثا: غايات الصراع؟ أمثلة من واقع اليوم.

إن الغايات التي يرمي إليها بن نبي من تحليله لمواقف من الصراع الفكري تتجلى في التالي:

إن الصراع الفكري خفي جدا بحيث نلمس نتائجه دون أن نراه وهذا في مجال الأفكار وتنميقها بحيث تخدم الاستعمار دون أن نحسب لها حساب.

إن الصراع الفكري يستعمل وسائل جد راقية من الناحية العلمية، فهو يهدف إلى النيل من الشعوب المستعمرة، بالطريقة الأسهل والأضمن.

إن الاستعمار يدير الصراع الفكري ويتمسك بسياسة شد الحبل من الوسط. وهي سياسة قديمة لكن تصبح جديدة، وذات جدية لمجرد توظيف النتائج العلمية، ولا سيما من علم النفس الخاص بمدرسة المنعكس الشرطي.

إن الصراع الفكري لا يعير أي اهتمام للعوام. بل يأخذ عينات منها. والعينات الذائعة الصيت أي تلك التي لها صوت مسموع ولها تأثير على المجتمعات وعلى الشعوب. ولنتذلل هذا نضرب مثلا فالاستعمار عندما يريد أن يدخل بلدا ليحتله لا بد له من أرمادة إعلامية ولتكن هذه الأرمادة مسلطة على شخص كأن يكون صدام حسين ويتذكر الجميع أن احتلال العراق من الأمريكان عام 2003 سبقت هذه التجربة حتى غدا الفرد في الجيش العراقي لا يرى في شخص صدام حسين إلا طاغية وديكتاتوراً. ومن هنا يمكننا القول أن ما قام به على المستوى الإعلامي، كان ذا نفع ممدد للاحتلال. بل لنقل هو الاحتلال نفسه.

وقتل صدام لأنه الشخص الذي كان يملك "أسلحة الدمار الشامل"، في حين أن التحقيقات بعد الاحتلال أكدت أنه لا شيء من هذه الأكاذيب موجود. لكننا وكما قلنا فإن نفسية الفرد في الجيش العراقي انهارت. بسبب كثرة الأكاذيب والأباطيل¹⁶. حتى صدق الناس مقولة أسلحة الدمار الشامل. ونلفت الانتباه هنا أن أسلحة الدمار الشامل¹⁷ لم يكن العراق يملك منها إلا واحد من الألف ما تملك الدول الكبرى و حتى من ما تملك إسرائيل. لكن جورج بوش صمم وأسر على أن يحرك الأرمادة الإعلامية في صالح الاحتلال وكان له ذلك.

لقد استفادت دول من التجربة فلم تكرر الخطأ الذي وقع فيه العراقيون. وبقيت تملك سلاحها النووي على الرغم من أن الغرب الاحتلالي نصب آله لرصد كل ما يمكن حول تدوير الصراع الفكري عن دولة ككوريا الشمالية. وكادت دولة إيران أن تسقط في الفخ أي أن تسقط في لعبة تسليط الضوء على مرآة الكف. لها كي ينتج من الأقاويل والأكاذيب صدق. لكن كل ذلك باء بالفشل. ولكن الاستعمار اليوم لا يمل إنه يحاول دائما وأبدا أن يحرك نقط الضعف في الدولة التي هي مصابة "بداء القابلية للاستعمار".

إن الغاية الكبرى للصراع الفكري هي الوصول إلى أهداف الخطة بإحكام: أهداف الخطة من حيث استعمال وتطبيق "مدرسة المنعكس الشرطي" لعلم النفس، بغية النيل من الكلب، ومعرفة كل الخبرات التي يعتمد عليها، قبل أو بعد استعمال مرآة الكف. إن قول مالك بن نبي في كتابه الصراع الفكري في البلاد المستعمرة - "فيما يتعلق بالحرب الحضارية التي تجلت ملامحها أكثر خلال السنوات الأخيرة بحيث لم يعد الاستعمار التقليدي يتخرج من الإفصاح عن مخططاته والحديث وبكل صراحة عما يريد الوصول إليه من أهداف قديمة جديدة "رأينا (...)" سنة 1948 ضد شبح اسمه إسرائيل كان يحركه أمام أبصارنا المسحورة ذلك الحاوي الماهر المستر تشرشل وتلميذه الشاطر ترومان أو بكلمة واحدة، إننا مازلنا مستعدين لنصرف من الوقت والمال والجهد دون جدوى. ويجب أن نظيف على هذا انه كلما وضعنا أنفسنا في فصل كهذا فإن الاستعمار سوف يكلف الاختصاصيين في لعبة الظل ليصور لنا معركة خيالية تصرف المسؤولين في البلاد الإسلامية عن المشاكل الحقيقية"18 - من خلال هذا النص يتبين لنا كيد الشيطان، ولا ننسى أن كيد الشيطان كان ضعيفا، كان ضعيفا لما تكون هناك مقاومة. أما حينما - كما قلنا- يجد المأوى الذي يحتمي به فإنه يخنس في الضمائر. وإنه يبقى دائما يعطي توجيهاته وتعليماته.

إننا اليوم إذ نتمسك بخيوط لعبة الصراع الفكري في الجزائر مثلا فلأننا نعلم أن شر البلية ما يضحك. ذلك أن الاستعمار القديم تقدم بأساليب جديدة في الوسائل والآليات. حتى أننا نتماشى مع عصر تكنولوجيات الصراع الفكري. لقد بات يستخدم أجهزة الإعلام الآلي لتتويم الشعب عن قضايا الحقيقة. ذلك أن الإعلام الآلي يتسم بسمات لا قبل لنا بإدراكها كان يترك المساحات خالية من مناقشة الأفكار الحقيقية، أو يلجأ في كثير من الحالات إلى أن يحذفها كأن تكون مساحات للنقاش حول الأحاديث الضعيفة والموضوعة! إنه يبني ذهنيته الخاصة به. فهو يربيهما حتى تصبح رنانة ولائقة ومثيرة في الآن نفسه.

إن تعرض الجزائر اليوم مثلا ل"اعتداء" من فيلم أمريكي¹⁹ يصور أن الإرهاب في الجزائر مدعوم من الحكومة ودليله أن أمريكا تتعرض لهجوم إرهابي لذا لا بد من استعمار النووي لضرب الجزائر. هذه الوضعية اليوم تذكرنا بما جرى في العراق بالأمس من افتعال لأقاويل وأغاليط وأكاذيب لضربه. ونحن اليوم في الجزائر نعاني من وطأة التحامل الإعلامي من هذا الفيلم مما سوف تكون له انعكاسات نفسية على الشعب الجزائري بتكرار خلاصة الفيلم على الشعب أو بافتعال ما يشبهه من أرماة إعلامية تعزز من مكانته أو من افتعال فروع أو تفرعات له في مسلسل الهجوم على الجزائر (ونحن نعتقد أن هذا النوع من "الإيحاء" بدأ مع عدة بلدان منها السعودية وإصدار الكونغرس الأمريكي "قانون العدالة ضد

رعاة الإرهاب" وهذه الصنيفة تشبه تماما ما أقره مجلس اللوردات البريطاني مع القذافي في قضية تعويض ضحايا طائرة الايرباس ب لوكاربي ب اسكوتلاندا.
إنه لا فرق بين الاستعمار التقليدي والاستعمار الحديث إلا في الوسائل لكن الأهداف المسطرة والغايات المرجوة والمتطلبة هي، هي. ففي الاستعمار التقليدي كانت وسيلة لتدوير الصراع الفكري المجالات والجرائد والكتب الورقية وهو اليوم يداعب الأفكار نفسها بطريقة اليكترونية.

1 المقصود مدرسة المنعكس الشرطي التي أسسها العالم الروسي بافلوف (إيفان Pavlove, E) 1849- 1936 م
2 أنظر مالك بن نبي، شروط النهضة، ترجمة عمر كامل مسقاوي، عبد الصبور شاهين، دار الفكر دمشق، صفحة الغلاف الأخير من المقدمة.

3 عن ابن عمر قال قال اهل المدينة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ادخل المدينة راشدا مهديا فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فخرج الناس فجعلوا ينظرون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم كلما مر على قوم قالوا يا رسول الله ههنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعوها فإنها مأمورة - يعني الناقبة - حتى بركت على باب أبي أيوب الانصاري كنز العمال وذكره البيهقي في دلائل النبوة

4 مالك بن نبي الصراع الفكري في البلاد المستعمرة، دار الفكر دمشق سوريا 1981.ص.76.

5 المصدر نفسه ص 76.

6 نفسه نفس ص 76.

7 الذي علق على الكتاب بنقده هو الشيخ العربي التبسي. لكن بن نبي يهيب بالجانب الخلفي الذي كان عليه هذا الرجل. كما يسجل عليه الضعف الفكري.

8 صدر الجزء الثاني من كتاب وجهة العالم الإسلامي الجزء الثاني سنة 2011

9 أردنا أن نقول ان شروط الصراع كانت قد توفرت. لتمرير فكرة تمزيق الصف الإسلامي.

10 مالك بن نبي، الصراع الفكري في البلاد المستعمرة ص 52

11 لتوضيح أكثر فإن القابلية للاستعمار يكفي أن ينفذها أعيان فقط من الشعب وليس الشعب كله.

12 ليوبولد فايس **Leopold Weiss** 1900-1992 نمساوي من أصول يهودية اعتنق الإسلام وسمى نفسه محمد أسد عرف بأهم كتبه الإسلام في مفترق الطرق.

13 حيدر بامات داغستاني الأصل 1890-1965. من أهم كتبه مجالي الإسلام.

14 مالك بن نبي، الصراع الفكري في البلاد المستعمرة، ص 57.

15 مالك بن نبي الصراع الفكري في البلاد المستعمرة ص 58 و59

16 مما جاء في بروتوكولات حكما صهيون. اكذب اكذب حتى يصدقك الناس، فإن لم يصدقك : اكذب اكذب حتى يصدقك الناس فإن لم يصدقك اكذب !

17 "لم يكن هناك ما يبرر استعمال القوة ضد العراق" هذا هو ما انتهى إليه تقرير هانز بلنكس رئيس اللجنة الدولية للتفتيش عن أسلحة الدمار الشامل المزعومة في العراق.

18 مالك بن نبي الصراع الفكري في البلاد المستعمرة ص.

19 أثار مسلسل تلفزيوني أميركي بعنوان "الناجي المحدد" موجة استياء كبيرة وسط الجزائريين وخلف ردودا متباينة بعدما أقيم سيناريو موسمها الأول في حلقة الرابعة، بلاذهم وصورها أنها غير آمنة ومعقلا للجماعات الإرهابية. ويروي مسلسل "Designated Survivor" أو "الناجي المحدد" قصة تعرض مجلس الشيوخ الأمريكي لعمل إرهابي، خلف خسائر مادية وبشرية، ليتبين بعد ذلك أن الجماعة التي نفذت الاعتداء تتخذ من الجنوب الجزائري معقلا لها، لتبدأ مفاوضات بين واشنطن والجزائر لتسليم قائد المجموعة المدعو "ماجد ناصر" الملقب بـ"الصقر". وتنفي السلطات الجزائرية حسب ما جاء في العمل التلفزيوني وجود هذه الجماعة الإرهابية على أراضيها، وهذا الرد أثار استياء أميركا التي قررت إعلان الحرب على الجزائر بتوجيه ضربة نووية تستهدف مقر الجماعة المسلحة التي يقودها ماجد ناصر. وجرى تداول المسلسل التلفزيوني، الذي تبثه قناة "إي بي سي" الأميركية، على نطاق واسع عبر صفحات مواقع التواصل الاجتماعي بالجزائر وعدد من المواقع المحلية والعربية، مخلفا بذلك ردود أفعال متباينة في الشارع الجزائري. وبين من يرى أن ما أقدمت علي "هوليوود" لا يعدو كونه حربا سيكولوجية وتصويرا سينمائيا خياليا لقصة افتراضية، يعتقد آخرون أن السلسلة التلفزيونية ترمي إلى تحقيق أجدات معينة مرتبطة بالسياسة الأميركية في التعامل مع الخارج خصوصا في سياسة حماية أمنها القومي. وذهبت وسائل إعلام جزائرية إلى حد التساؤل عن أبعاد اختيار الجزائر بالذات في سيناريو الفيلم رغم أنها ليست بؤرة كبيرة للإرهاب في العالم كما أنها تعد أحد حلفاء الولايات المتحدة في المجال ذاته. وتعليقا على الموضوع قال وزير الثقافة الجزائري عز الدين ميهوبي إن وزارته ستتابع القضية وستأكد من صحة هذا الفيديو الذي انتشر في الشبكة العنكبوتية، وأكد أنه إذا ثبت صحة ما جاء في المسلسل فإن الوزارة ستصدر بيان شجب ضد هذا العمل."

في المقابل، اعتبرت السفارة الأميركية في الجزائر جوان بولاشيك في أول تعليق لها على القضية أن "الأمر يتعلق فقط بمسلسل خيالي وأن الولايات المتحدة تربطها علاقات صداقة قوية مع الجزائر."